

# التحدى العلمى

الأنبا موسى

مقدمة

العلم هو التحدى الأكبر فى القرن الحادى والعشرين. والصراع القادم - فى رأى الباحثين - سوف لن يكون بين من يملك ومن لا يملك، بل.. بين من يعرف ومن لا يعرف!!  
المعرفة - إذن - هى مجال المنافسة الكبير فى القرن القادم، والعلم هو من أهم أدوات المعرفة.  
ثقافتان :

يتحدث العالم الآن عن ثقافتين تتكاملان فى حياة البشر: الثقافة المادية، والثقافة الروحية.  
وأن الخطر - كل الخطر - يكمن فى أن إنسان العصر الجديد يركز على الثقافة المادية، ويتجاهل الثقافة الروحية.

1- **الثقافة المادية:** هى علوم التجريب والمادة والحسيات، والطبيعة، والكيمياء، والهندسة، والطب، والفلك، والتكنولوجيا، والجغرافيا، والاقتصاد.. الخ. وهى بلاشك علوم هامة لإسعاد الإنسان، لكن.. على هذه الأرض، وفى حياته المادية وصحته الجسدية.

2- **الثقافة الروحية:** هى العلوم الإنسانية المتنوعة كالدين، والتربية، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والفلسفة، والإعلام، والأدب، والتصوف.. الخ. وهى بلاشك غاية فى الأهمية، فالإنسان ليس جسداً وحسب، بل هو عقل يفكر، ونفس تحسّ، وروح تتأمل فيما وراء المادة، والطبيعة، والموت!!  
من هنا كان النموذج الغربى السائد الآن، والذى تحاول شبكات البث التلفزيونى والمعلومات أن تفرضه علينا كل يوم.. هذا النموذج الغربى فيه ابتسار خطير، فهو يبهرننا بالتقدم العلمى المادى والزمنى، بينما يعوزه الكثير من الأبعاد الروحية والإنسانية والفكرية.  
ولاشك أن المراقب المنصف يرى الآن إبداعات مذهلة فى العالم الغربى، مهتمة بالثقافة المادية، بينما يرى شحوباً خطيراً فى البعد الروحى والأخروى.  
وقديماً قال السيد المسيح: "ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله، وخسر نفسه. ماذا يعطى الإنسان فداءً عن نفسه؟" (مت 26:16).

ما أخطر أن ينber الإنسان بالحضارة المادية السائدة، وينسى القحط الروحى الذى يعيش فيه الإنسان الغربى، والأسرة الغربية، والمجتمع الغربى.  
إن ثقافة الغرب السائدة الآن، تتمركز حول ثلاثة محاور:

1- **محور الجسد:** إذ تهتم بالصحة والرياضة والتغذية، وهذا جميل وهام ومفرح. لكن الخطر أنها تتمركز حول الجنس الذى شطح بهم نحو أبعاد غاية فى الشذوذ والانفلات، حتى سقط الكثيرون منهم فى نوع من "إدمان الجنس"، والنماذج ماثلة أمامنا، فيما يبثه الإعلان الأمريكى، وشبكة المعلومات، حتى أنه قد صدر أخيراً فى أمريكا كتاب يتحدث عن هذا الأمر، اسمه "مجتمع موجه جنسياً"، وكيف أن الجنس صار يتحكم فى شبكات الإعلام، وروح الإنسان، وسلوكيات المراهقين، بل حتى المتزوجين، بل حتى نشرات الأخبار!! وفى الشهر الماضى كان العالم يتحدث عن الجدة ذات الستة والعشرين عاماً، حيث أنجبت ابنتها فى سن 12 سنة، طبعاً بدون زواج كنسى أو حتى مدنى!!

2- **محور المادة:** فالناس الآن يجرون وراء الدولار والمادة، وينسون كل قيم ومبادئ وأديان، فى سبيل الوصول إلى الثراء السريع. ومنذ شهور قليلة عشنا ظاهرة الشهادات الدولارية الورقية، التى تصدرها شركة أجنبية، تباع فيها أوراقاً بيضاء، يتداولها الشباب فيما بينهم، كل شهادة بأربعين دولاراً، وهذا يكسب من جيب ذاك، دون استثمار أو تجارة أو إنتاج سلعة، بل فى نوع من المقامرة، يخسر فيها الكثيرون، وتكسب الشركة باستمرار.

3- **محور الذات:** حيث يسمى الأمريكيون ثقافتهم، بأنها "ثقافة الأنا" (The Me Culture). فالكل يتمركزون حول ذواتهم، ولا يفكرون إلا فى أنفسهم، ليس فقط على مستوى المجتمع، بل حتى داخل الأسرة. من هنا تمزقت

الأسرة إلى أفراد أنانيين، وتمزق نسيج المجتمع، وسادت روح الأخذ، بدلاً من روح العطاء، ومع الأخذ فقط تكون التعاسة، حيث قال الرب يسوع: "مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ" (أى 20:35). لذلك لا بد أن نركز على الثقافتين معاً، وعلى الاهتمام بالجسد والروح معاً، ففي المسيح يسوع لم يعد هناك صراع بين الجسد والروح، بل ضبط وارتقاء، وشركة حب وجهاد وعبادة:

**الروح:** تحب وتتأمل وتتأمل وتتأجى الرب.  
**والجسد:** يسجد، ويرفع اليدين، ويقرع الصدر، ويصوم، ويسهر.  
صور التحدى العلمى :

إن الاهتمام بثقافة الروح لا ينبغي أن ينتقص من قدر العلم، والإنجازات الحديثة، فى كل المجالات. وأمامنا تقدم علمى مذهل يجب أن نستفيد منه، وهذه بعض الأمثلة:

1- **فى المجال الطبى:** هناك تقدم مدهل فى أساليب الفحص، بأجهزة حديثة، وكذلك فى أساليب العلاج، مثل زرع الأعضاء واستخدام الليزر، ووسائل الطب الحديث.

2- **فى المجال التكنولوجى:** ذلك التقدم المثير فى استخدامات وإمكانيات الكمبيوتر، وشبكة المعلومات، حتى صار الحاسب الآلى قادراً على إجراء ملايين العمليات فى ثانية واحدة، وتخزين كم هائل من المعلومات فى حيز صغير، مع ما يمكن أن ينتج عن ذلك من إمكان توظيف وتحليل واستخدام هذه المعلومات، فى مجالات: الحياة اليومية، والبحوث، والتقدم العلمى.

ولعل أحدث صيحة فى عالم الكمبيوتر الـ (Run puter) والكلمة مأخوذة من مقطعين (Run + Computer) أى الحاسب الآلى النقال، حيث اخترع العلماء حواسيب آلية فى حجم ساعة اليد، يلبسها الإنسان فى معصم يده ويجرى من خلالها العديد من العمليات الحاسوبية، واستخراج البيانات والمعلومات والأخبار .. بل ستكون هذه الحواسيب ذات ألوان لتتماشى مع ملابس الإنسان!!

3- **فى مجال الفضاء:** وقد تركنا القمر إلى المريخ، حيث المسافة الشاسعة التى قطعها Path Finder مجهزة بأحدث آلات الدراسة والاستكشاف، لما يحتويه المريخ من أسرار. ويجتهد العلماء الآن، بسبب بعد المسافة، وحاجة المسافرين إلى المريخ إلى كميات هائلة من الأوكسجين لفضاء شهور طويلة فى الرحلة، يجتهدون أن يتمكن رواد الفضاء من استخراج الأوكسجين من صخور المريخ، حتى يستخدموه فى رحلة العودة. ناهيك عن الفائدة الإعلامية والعلمية والعسكرية والاقتصادية، التى تعود على دول البحوث الفضائية، مخلفين وراءهم الدول المتخلفة، والتى تسمى تادباً بالدول النامية حيث إذا لم تكن كذلك!

4- **فى مجال الهندسة الوراثية:** حيث استنساخ النبات والحيوان، وهو جار بصورة مكثفة الآن. وفى بريطانيا ثورة كبيرة على النباتات المعالجة جينياً، حيث يعالج العلماء النباتات بجينات حيوانية، فيمزجون التفاح بالسلك، والبلاستيك بالنباتات، وفول الصويا باللحم الحيوانى. والمشكلة أن أحد العلماء نادى بأن هذه النباتات التى تنتج بوفرة هائلة نتيجة المعالجة الجينية، يمكن أن تقود إلى أنواع من السرطان. ففصل هذا العالم، لأنه سوف يعطل الفقرة الهائلة فى الإنتاج، وما يعقبها من أرباح طائلة. ولكن منظمات حماية البيئة، تنادى بضرورة مواصلة البحث فى هذا الموضوع، حماية للإنسان.

أما استنساخ الإنسان فيبدو أنه مسألة وقت!! وهو بالضرورة خطر على "النوع" الإنسانى، إذ سنحصل على "إنسان" بدون زواج، ولا أسرة. مع إمكانية كبيرة لخلط الأنساب. وإن كان البعض يتوقع أن الإنسان المستنسخ سيشيخ سريعاً، لأنه مأخوذ من خلية كبيرة السن، وهذا ما حدث للعجزة "دوللى" كما تقول الأخبار. هذه مجرد أمثلة للتحديات العلمية الماثلة، وغيرها كثير، وفى المستقبل أكثر. الكنيسة.. والتحديات العلمية :

لا توجد لدى الكنيسة أية مشكلة فى موضوع الإنجازات والتحديات العلمية، فهى تعرف أن العلم له دائرته: الحسية، والمادية، والتجريبية.. وأن الإيمان له دائرته: الروحية، والإنسانية، والفكرية. والتداخل بين الدائرتين غير وارد، وكذلك التعارض أيضاً، إنما هناك تكامل بين العلم والدين، فالعلم السليم يدعم الإيمان السليم. اينشتاين : قال وهو يواصل اكتشافاته وبحوثه التى غيرت وجه التاريخ: "كلما ازدت علماً، ازدت إحساساً بالجهالة". ذلك لأنه كلما درس نقطة ما، اكتشف المزيد من النقاط والموضوعات الغامضة، المحتاجة إلى دراسات وبحوث مستفيضة.

نيوتن : حينما سئل: "ماذا كان إحساسك وأنت تكتشف قوانين الطبيعة المذهلة؟" قال: "كنت كطفل صغير، يلهو على شاطئ محيط ضخم". إنه العالم الذى اكتشف الجاذبية، البخار، والقوانين المنظمة لهذا الكون، وقد استطاعت البشرية استخدامها فى تقدم علمى، مدهل وهام.

إن موقف الكنيسة يتلخص فى أمور هامة مطلوبة منها، مثل:

1- **الدعوة إلى الاستزادة بالعلوم:**

إذ تشجع أولادها على الدراسة والتعلم والبحث، والإسهام في مجالات وهيئات البحوث العلمية المختلفة، سواء على مستوى الدولة أو القطاع الخاص. إن كل مصنع الآن به شعبة للبحث العلمي، من أجل تطوير المنتج وتحسينه. والكنيسة تشجع استخدام كل الوسائل العلمية المتطورة في سبيل إسعاد الإنسان، وسواء في مجالات الطب، أو الهندسة، أو الفضاء، أو التكنولوجيا، أو الاتصال، أو المعلومات.

لقد انتهى عصر كنيسة العصور الوسطى، التي حاولت أن تسيطر على العلماء وإنجازاتهم واكتشافاتهم ونظرياتهم، بل حاولت الإساءة إليهم ومعاقبتهم. وهذا السلوك لم يكن - على الإطلاق - كنسياً ولا كتابياً. فالكتاب المقدس يرى في الله أنه "مذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم" (كو 2:3). ومع أنه يرى العلم المادى أمراً جزئياً ووقتياً، ينفعنا في الزمان الحاضر، إلا أنه لا يحارب العلم ولا العلماء، بل يرى في الكثير من إنجازاتهم ما يؤكد وجود الله اللانهائي، وعلم الفلك خير دليل على ذلك. وكذلك علم الأجنة والأنسجة... الخ.

كم نتمنى أن يتوقف الغرب عن حرب "استنزاف العقول"، حيث يأخذ خبرة أبناء الدول النامية، مقدماً لهم إغراءات المادة وتسهيلات البحث العلمي. لكن هذا لن يحدث، ما لم تقدم الدولة لعلمائها كل ما يحتاجون، فالعلماء هم "بصيرة" هذا الوطن، "ووسيلة" تقدمه، ليأخذ مكانه ومكانته في زحام التكتلات العلمية والاقتصادية والسياسية، الماثلة والمستقبلية.

## 2- ضرورة وجود علماء متخصصين داخل الكنيسة:

يجب أن تؤمن الكنيسة بحاجاتها إلى علماء أتقياء، من خلالهم تدرس الكنيسة كل ما يستجد على ساحة البحوث والاكتشافات والمحاولات العلمية، لتقدم الرأي المسيحي المناسب، الذي يريح ضمائر أبنائها.

فمثلاً أمامنا موضوع "الاستنساخ"، وكيف أنه لا يخلق جديداً ولكنه يعيب بخلقة الله، مكتفياً بالبعد الجسدي للإنسان دون الأبعاد الروحية والعقلية والنفسية. وأمامنا موضوع "زراعة الأعضاء"، وكيف نحتاج إلى العلم في تحديد معنى الموت، وعلامات موت المخ، التي بعدها يجوز الاستفادة من أعضاء المتوفى. وأمامنا موضوع "التلقيح الخارجى" (طفل الأنابيب)، وكيفية التأكد من أن الخليتين هما من الزوج والزوجة، وضرورة التأكد من عدم إجهاض وقتل أجنة يجري تجهيزها ثم تترك للموت. والأبحاث الحديثة الآن يمكنها إثبات النسب باستخدام الـ DNA، كذلك يمكن أن يضع الطبيب كل الأجنة المكونة في رحم الزوجة، دون أن يجهض أحداً منها.

في كل يوم سنرى جديداً من منجزات العلم، وعلينا أن ندرسها بأسلوب علمي متخصص، لنتمكن من إبداء الرأي المسيحي المناسب. فمثلاً "استخدام اللولب" من الممكن أن يحدث معه حمل، يتم إجهاضه بسبب وجود اللولب. لذلك يرى العالم المسيحي ضرورة استخدام "فترة الأمان" مع اللولب، لضمان عدم وجود بويضة من الأساس في هذه الفترة، وبالتالي لا يحدث إجهاض يتعب الضمير!

## 3- الاستفادة من منجزات العلم:

لاشك أن العلم الحديث أنتج لنا الكثير من الوسائل، التي يجب أن نستوعبها ونستخدمها ونستفيد منها، وبخاصة في مجال "تكنولوجيا الاتصال والمعلومات". .. منها أمامنا شبكة الانترنت التي لن نستطيع الاستغناء عنها في الحصول على المعلومة، وفي إجراء البحوث، وفي التواصل مع أبناء الكنيسة في كل مكان، وتخزين وتوثيق العضوية الكنسية، والكتب، والشرائط... الخ.

وأمامنا الكمبيوتر، بدءاً من الكمبيوتر الشخصي الصغير الذى تخزن عليه التليفونات والمذكرات والحسابات.. إلى الـ Hard Disc والـ Soft Ware التي من خلالها تخزن كميات مهولة من المعلومات في حيز بسيط.

وأمامنا الأقراص المدمجة C.D. التي نجد فيها أكثر من 300 ثلاثمائة مرجع علمي ضخم على قرص صغير، مع إمكانية البحث عن المعلومة المحددة التي نريدها.

أمامنا شبكات الأقمار الصناعية، حيث نستطيع توصيل كلمة الله بالصوت والصورة إلى أعداد ضخمة من البشر، وفي مساحات شاسعة.

إن من يريدون سماع عظة قداسة البابا الآن، في أى مكان في العالم، يستطيعون سماعها ومشاهدتها فى آن واحد، من خلال الـ Web الخاص بالبطريركية.

إذن، فالمنجزات العلمية مفيدة، لكن بعضها أو بعض جوانبها مضر، وعلينا أن نطيع هنا وصية الكتاب: "امتحنوا كل شئ وتمسكوا بالحسن" هذا هو الشعار الذى يجب أن نرفعه أمام كافة التحديات العلمية، الماثلة أو المستقبلية.